القدس بعيون يابانية

وصف الأديب الياباني توكوتومى كينجيرو للمدينة

م. د . ياسين خضير حسن (*)

الملخص

يعد الشرق الأوسط احد المحطات المهمة التي قصدها الرحالة الغربيين، لاسباب عده منها، موقعه الجغرافي المتميز، وكونه مهد للحضارات القديمه، ولأرثه الديني الكبير، وكانت فلسطين أحدى المحطات التي قصدها بعض أولئك الرحالة لزيارة الأماكن المقدسة، وقدم لنا أولئك الرحالة إرثا كبيرا من مدونات التي زودت الدراسات التاريخية والجغرافية والأجتماعية بكثير من المعلومات المهمة، فنقلت كتاباتهم الصورة الأولى للغرب عن المجتمع الإسلامي. وزودت حكوماتهم بمعلومات استخبارية مهمه ساعدتهم في السيطرة على تلك البلدان فيما بعد.

المقدمة

جائت اغلب الرحلات للمنطقة العربية قادمة من الغرب الأوربي، لكن في هذا البحث سأناقش رحلتين من أقصى الشرق للأديب الياباني (توكوتومى كينجيرو) الى مصر وفلسطين وسأركز فيها على زيارته ووصفه لمدينة القدس التي كانت محط رحاله في كِلا رحلتيه الأولى عام ١٩٠٩ والثانية عام ١٩١٩م، وفي تلك الرحلتين قدم لنا اقدم وصف ياباني للمنطقة العربية. وسأناقش في البحث عن حياة الاديب توكوتومى وتكوينه الفكري في اليابان قبل قدومه للشرق، ومن ثم مجريات الرحلتين وبيان طبيعة التطور الذي حصل في فلسطين، وموقفه من فكرة انشاء وطن لليهود في فلسطين وموقفه من مؤتمر باريس للسلام وسأناقش موقف كينجيرو من الإسلام ومن النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

(*) وزارة التربية

البنية الفكرية للأديب توكوتومى كنيجيرو

ولد توكوتومى في ٢٥ أكتوبر ١٨٦٨م في إحدى قرى جنوب غرب جزيرة كيوشو اليابانية من والدين مسيحيين لأسرة تنتمي إلى طبقة الساموراي[١]، ثم انتقل إلى مدينة كيوتو للدراسة في جامعة دوشيشا ، وكان سعيدا جدا بأجواء الجامعة الذي اختلطت فيه الحياة اليابانية مع الحياة الأوربية. ولنباهته لفت توكوتومى اهتمام أساتذته، الأمر الذي هيأ له العمل في إحدى المدارس المسيحية مع احد قادة المسيحية في اليابان والذي أصبح فيما بعد رئيسا لجامعة دوشيشا[٢].

بعد أنّ طارت شهرته أديبا وروائيا، اتخذ توكوتومى من(لوقا) اسما أدبيا له، ولوقا او كما يلفظ باليابانية روقا، هو من ابتداع فكر توكوتومى[٣]،ولكونه مسيحيا فلعله يكون قد تأثر باسم الطبيب والحواري لوقا الإنجيلي.

وبحسب مترجم الرحلة، أنّ توكوتومى لم يكن راضيا عن حياته التي شهدت تقلبات عده منها، انه لم يسعد بزاوجه الذي رتبة له شقيقة الأكبر!، لكنني لمست عكس ذلك تماما ، فحياته سارت بهدوء وتوطدت مع زوجته آيكو التي أهدى لها كتاب رحلته الأولى قائلا" إلى زوجتي التي ربطني بها رباط قوي لا ينفصم"[٤] ، مما ينفد رأي مترجم الرحلة، وشاركته زوجته في رحلته الثانية إلى فلسطين ومصر في عام ١٩١٩م، وشاركته في كتابة بعض صفحات رحلته في جزئها الثاني[٥]، وقد وصفها في رحلته الثانية بقوله " هي تؤمن بالطبيعة اكثر مني، هي طفل رغم أنّ شعرها قد شاب، هي حقا لاتزال طفلة تحمل براءة الأطفال في داخلها ، وما قصدته بطفلة هي الحقيقة بكل معنى الكلمة"[٦] ، ومن ذلك نتلمس حبه لزوجته وتقديره لها وإن كان قد تزوجها في زواج تقليدي أو بدون قصه حب. وقد اصطحب زوجته وابنة أخيه لتسلق جبل فوجي ذا القدسية الكبيرة[٧] في ديانة الشنتو[٨]، ورحلته هذه إلى جبل فوجي امتزجت فيها عقيدة توكوتومى الشنتويه الوطنية اليابانية مع العقيدة المسيحية التي ترسخت بعد دخوله جامعة دوشيشا اليابانية، وعند صعوده إلى قمة الجبل وهو بعمر (٣٧ عاماً) أصيب بأغماء وبقي مدة ثلاثة أيام فاقدا للوعي دون حراك ، وبعد ان استعاد قوته ونزل إلى أسفل الجبل عدّ نفسه قد ولد من جديد، وقرر أنْ يقضي سنة منعزلا عن الناس فأقام بصحبة زوجته مع جماعة مسيحية، قرأ خلالها الاناجيل المسيحية واحدى روايات تولستوي[٩]، وكان ينشد الترانيم الدينية ويشارك المسيحيين المحلين في احتفالاتهم وتجمعاتهم، وبعد ان توثقت العقيدة المسيحية في نفسه بعد أن أمضى هناك ثلاثة أشهر قرر بعدها الخروج في رحلة الحج لزيارة الأماكن المقدسة عند المسيحيين[١٠].

إنّ احدى الأمور المهمة التي رافقت توكوتومى طيلة حياته هي علاقته بأمه والتي أوردها في ثنايا رحلته بعد أنْ قرأ خبر وفاتها في الصحف اليابانية التي وصلته الى القدس، فذكر أنه شعر وهو طفل صغير أنه الطفل الذي لم ترغب أمه بولادته، وقد كتب عن ذلك في روايته "الربيع الجديد"، فقد أخبرته أخته وهو بعمر الواحد والخمسين سنة أنّ أمه كانت قد تشاءمت بحدوث شيء سيء ليلة نزول نطفته في رحمها لأنّ والده جامع والدته وهو في حالة سُكُر، مما جعلها تشعر بالإهانة والكراهية لوالده ليلتها وذلك ما يفسر سر اللعنة التي تلازمه " كانت أمي بالطبع آسفة وأنا في رحمها"[١١]. إنّه يعبر عن ذلك بألم شديد " إن حياتي بدأت على الصليب ، حياتي كلها عكس حياة المسيح، خمسون عاما على حياة الصليب...أريد ان أصرخ وأصيح أن عهد الصليب قد انتهى"[١٢]، ويصف نشأته بقوله" كنت أعيش بشخصيتين في آن واحد ، أحيانا أعيش بشخصية تشعر بأنها تتحطم بسهولة مع يأس من الحياة ورغبة في الموت ، وأسلوب تربيتي كان نتاجا لهذه اللعنة ... كانت إذا ما جاءت درجاتي متواضعة في الامتحان، فأن أمي تردد عبارة: كما هو متوقع! "[١٣]، ولذلك يبدو إنّ لم يشعر بحب والدته له وعدم اهتمامها به "حاولت أنْ أحطم نفسي وأنْ ألفت اهتمام والدتي، وأجذب اهتمامها تجاهي"[١٤] ، فنجده يقارن حالته بحالة المسيح عليه السلام " هل فعلت مريم حين كان المسيح في رحمها ما فعلته أمي بي، مريم لم تلعن المسيح ، لقد لُعنت من أمي ، ومازالت اللعنة تحل بي، ومالم تتخلص امي من لعنتها لي تماما ، لا يمكنني أنْ اتخلص من هذه اللعنة"[١٥]. يتضح مدى فقدان توكوتومى لحنان أمه التي لم يشعر بمحبتها له، " حين مات ابي لم تستدعني أمي أو تتصل بي، لأكون معه في اللحظة الأخيرة قبل وفاته، وعندما غادرنا اليابان لم تقل لي ولو كلمة واحده، أمي لا تعرف مقدار تأثير كلمة واحدة مفرحة تنطق بها لطفلها"[١٦] .

عبرّ توكوتومى بألم شديد عن مقدار القسوة التي تعرض لها والتي اثرت في صياغة شخصيته منذ أنْ كان طفلا، فهو يرى أنّ الطفل الذي لا ينال محبة والديه لن تكون حياته مكتملة، ومع إحساسه المؤلم ذلك إلا انه تألم لوفاة والدته وهي وحيدة ، لم يكن أحد من أولادها بجانبها أو حضر مراسيم تشييعها[١٧] ، لذا نجد أنّ أفكاره تتجسد في موقفه من الصليب[١٨]الذي يُذَكِرهُ دوما بالآلام ، فهو لا يريد الصليب الذي عانى منه السيد المسيح عليه السلام، ويطرح فكرة أنْ يتخذوا الشمس رمزاً بديلا عن الصليب، لكون شكلها يمده بالعطاء والضوء والنور، الذي يوقظ الناس من سباتهم وغفوتهم ويملؤهم حيوية ونشاطا[١٩]، ويقول عن نفسه " انا نفسي أظن أنَ شخصيتي شخصية عالمية أكثر منها يابانية"[٢٠]

مما تقدم يتضح لنا أنّ توكوتومى كان يعاني من عدم الاستقرار النفسي الكامل حتى أنّه غير من خططه وعمد للاتجاه نحو الأماكن المقدسة وهو يحمل شحنة عاطفة دينية كبيرة كان لها أبلغ الأثر في صياغة رؤيته عن فلسطين والقدس وعن مجتمعها آنذاك.

في أسباب الرحلة الى القدس

ذكر توكوتومى أنّ فكرة الرحلة إلى الأماكن المقدسة جاءته بشكل مفاجئ إذ شعر برغبة ملحة في الحج إلى الأماكن المسيحية المقدسة بعد ان الغى قرار البقاء عاما كاملا منعزلا عن الناس مختلطا مع جماعة من الطائفة المسيحية ، لكن يبدو انه كان يحمل شحنة قوية من العاطفة الدينية دفعته الى السير نحو بيت المقدس إذ يذكر عن فكرة السفر هذه بقوله "جاءتني فجأة فكرة لم تخطر على بالى من قبل فقد شعرت ان ما اريد حقاً هو الأماكن المقدسة وليس المسيح"[٢١]، وفي طريق السفر عبر عن حالته بأنه كان يشاهد عددا من مواطنية يسافرون معه في الرحلة نفسها يقول عنهم " فهؤلاء الناس يسعون من اجل تطور اليابان وتحديثه أما أنا... فلست أدري لماذا أنا مسافر؟ لأي سبب انا مسافر"[٢٢] وكأنه في طرحه لهذا التساؤل يريد القول انه بلا هدف محدد وان سفره لن يعود إلا بفائدة شخصيه له فقط.

وفي رحلته الثانية عام ١٩١٩م علل هدفه من السفر بتعزية الناس بعد مصائب الحرب العالمية الثانية ، ومواساتهم في مصابهم، فهو يعد نفسه رسولاً لنشر السلام والمحبة والنوايا الحسنة بين الأمم. لكنه يبادرنا بتساؤل بأنّه لا يحمل أي تخصص معرفي وليس لديه شهادة علمية، وليس لديه هدف معين، فلماذا يصرف النقود ويهدر الوقت؟! نحن سنسافر حول العالم، هذا كثيرا جدا دعاية ما بعدها دعاية! سوف نعيش حياتنا على الطريقة اليابانية عروسة وعروس بشعرهما الذي غطاه الشيب مثل آدم وحواء ،نمضي في رحلة حول العالم لنشعر بالراحة والمتعة"[٢٣]، إنّ رحلته الثانية جاءت لتحمل روحا تنشد السلام والمحبة بين البشر في أعقاب الحرب العالمية الأولى، تلك الحرب الدامية التي خلفت دمارا كبيرا" جئنا مثل شعاع الشمس نريد أنْ ننير العقول ، ونشجع الناس لنبذ الحروب والمضي على طريق السلام، نريد أن نجعل الجميع سعداء . . .كفانا حروباً ونزاعات ، السلام يجب أن يكون الهدف"[٢٤]

ويذكر في نهاية رحلته الى فلسطين " فلسطين كانت أساس رحلتنا وهدفها، وقد أمكننا أن نحقق الهدف، وقد أطلعت زوجتي على القدس وبيتانيا والناصرة وقد انتهى دورنا هنا"[٢٥].

وصف القدس ومجتمعها

وصل توكوتومى في رحلته الأولى إلى مدينة القدس في الرابع والعشرين من مايو ١٩٠٦م، الذي وصفها ديموغرافيا وحضريا من خلال عدد سكانها الذي قدره بنحو (٨٠٠٠٠) نسمة يرتفع

الى نحو (١٠٠٠٠٠) نسمه في موسم الحج، أحتل فيه اليهود ما نسبته ٦٠% في حين نسبة ال٤٠% المتبقية توزعت بين المسلمين والأوربيين ، وكان قد ذكر لنا أن عدد مساجد المسلمين في مدينة القدس بلغ حينها (٢١١) مسجداً إسلامياً، الأمر الذي يشير الى أن عدد السكان المسلمين نسبة الى عدد سكان المدينة كان كبيرا[٢٦]، ويبدو انه استقى معلوماته هذه من مصادر غربية حملت مبالغة في أعداد اليهود إلى حد كبير[٢٧]، وهو يوثق لنا عدد مساجد المسلمين في مدينة القدس والذي يبلغ عدد(٢١١)مسجد اسلامي، إلا أنّ الإحصاء العثماني لعام ١٩٠٥م يشير الى أن عدد سكان المدينة الكلي (٣٢,٤٠٠) نسمه منهم (١٣,٤٠٠) يهوديا و(١١,٠٠٠)مسلما و(٨.٠٠٠) مسيحيا[٢٨]، وعند حديثه عن ديموغرافية القدس أشار إلى أنّ اليهود والمسيحيين يعيشون في الجهة الشمالية الغربية من المدينة، وأن اغلب الناس تعيش في منطقة ضيقه، لان القدس في الاساس قلعة مسورة تقع على ارتفاع ٢٥٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر، وذكر الخدمات العامة في المدينة مثل وجود مستشفى ومدارس ومباني للقنصليات والسكن ودار للأيتام ومطاعم وفنادق مخصصة للقادمين للحج[٢٩]،لكنه لم يفصل في ذلك، ويبدو أن ازدحام المدينة وضعف الاهتمام بنظافتها كان سبب شكوى توكوتومى من انعدام النظافة بالقول" شاهدت الخراف المذبوحة والمعلقة يغطيها الذباب لدرجة أنها صارت كلها بلون أسود ... كان كل شيء قذرا كأن القذارة تتحرك هنا وهناك حين تلقي بالنظرة الاولى على القدس من خارج أسوارها تتعجب بالطبع، لكن مشاهدة المدينة نفسها داخل الأسوار تجعلك تود لو تحرق المكان كله"[٣٠]، ونستدل من هذا الوصف أن الاهتمام بنظافة المدينة كان ضعيفا جدا.

وخلال سفرته الأولى لم يحظ بالصفاء الروحي الذي ينشده ففلسطين مملوءة بالكنائس، وهي مزدحمة بالصخب والضوضاء، لذلك لم يتمتع بالشعور الروحي ولم ينل قسطا كافيا من السكون الروحي، واشار ألى أن أفضل أوقات زيارة فلسطين هو في فصل الربيع وبخاصة شهري آذار ونيسان[٣١]، أما في رحلته الثانية فقد تعمد زيارة جميع الأماكن المقدسة عند المسيحيين أو التي سار اليها السيد المسيح مصطحبا زوجته معه ووثق ذلك بوصف دقيق، وقال جئت إلى فلسطين ، جئت إلى القدس، بينما وجهة الناس إلى فرساي في فرنسا، فلسطين هي بالنسبة لنا العالم كله وزيارتنا لها كأننا تجولنا في العالم كله[٣٢].

الوضع الإداري في القدس

يشير توكوتومى إلى تعدد دور العبادة في القدس بين المسلمين والمسيحيين وبين اليهود الذي فقدوا قصر سليمان (الهيكل) الذي تهدم وقام المسلمون بتشييد مسجدهم فوقه" من يدرس التاريخ ويركز على التاريخ سيقول بالطبع : ان القدس ليست لليهود، لأنّ القدس هذه ليست

أورشليم التي كانت قبلا"[٣٣] ،ويتضح ان توكوتومى لم يقرأ تأريخ فلسطين القديم والذي يقول ان الكنعانيون العرب هم اقدم شعب سكن فلسطين بعد خروجهم من الجزيرة العربية بحدود (٢٥٠٠ ق.م)[٣٤] وهو يرى أن هنالك تنافساً كبيراً بين اليهود والمسيحيين بطوائفهم المتعددة في محاولة إثبات أحقيته بالمدينة والكل يركز على الآثار وبناء المدارس ودور الإيتام وإدارة المستشفيات وتأسيس الجمعيات التبشيرية ويحاول البريطانيون والامريكيون والألمان السيطرة على القدس، ولا يريدون تركها لأحد، وكان للقنصليات الأجنبية في القدس دوراً كبيراً في دعم المشروع الصهيوني في فلسطين[٣٥]، وهكذا أشتد الصراع بين المسلمين واليهود والمسيحيين، وهو يرى أنّ الله سيقبل بالمؤمن المتسامح الذي يحب لأخيه ما يحب لنفسه ،الله يقبل من يحمل هذه الصفات أن يكون مالكا للقدس[٣٦].

ويعطينا صوره عن تقسيم القدس القديمة المحاطة بالأسوار إلى أربع مناطق: المنطقة الأوربية تقع في الشمال الغربي، ومنطقة الأرمن وتقع في الجنوب الغربي، ومنطقة المسلمين وتقع في الشمال الشرقي، بينما تقع منطقة اليهود في الجنوب الشرقي[٣٧].

ووصف منطقة سكن الأرمن بأنها منظمة وطرقها معبدة ، ولكن رائحة المجاري (المراحيض) تنبعث بقوه ويشمها من يسير في شوارع المنطقة، أما المنطقة اليهودية فكانت اشد ازدحاما وفوضى وقذارة، اما منطقة المسلمين فلا تصف الكلمات قذارتها، إلا ان هناك تركيز كبير على الاهتمام بالنظافة في محيط المسجد الأقصى[٣٨]، يبدو واضحا انه لم يأخذ بنظر الاعتبار المستوى المعاشي والاجتماعي للسكان وكثافتهم، حتى انه لم يوضح لنا طبيعة الاعمال التي يزاولها السكان بحسب تجمعاتهم السكانية وطبيعة العلاقة الاقتصادية والاجتماعية بينهم.

اليهود في القدس

اعطى وصفا لليهود في القدس من خلال مشاهداته، اذا رأى رجالا في يافا تتدلى شعورهم على آذانهم ويضعون قبعات على رؤوسهم، معهم نسوة يغطين وجوههن بقماش شفاف وقد جاء هؤلاء من روسيا في طريقهم الى القدس وهم ينتمون الى عائلات يهودية[٣٩].

وهو يتبنى مقوله اليهود أنهم كانوا شعب الله المختار، لكن الله غضب عليهم، إذ يرى أن الله ارسل منهم كثير من الرسل ، بل ان المسيح عليه السلام جاء من بينهم ، لكنهم فقدوا ايمانهم ونكثوا عهودهم فصاروا عبيدا للمال، قال تعالى في وصف اليهود(فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا [١٥٥] وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ على مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا [١٥٦])[٤٠].

وأشار إلى ذهاب اليهود إلى حائط البراق [المبكى] يوم الجمعة بأعداد كبيرة بينهم العجائز والأطفال والفتيان ،كانوا يمسكون بأيديهم كتباً صغيرةً مغطاة بالجلد ، كانوا يئنون ويصلون بأدعية معينة، كان بعضهم يغطي رأسه بالطربوش والآخرين يعتمرون قبعة صغيرة مسطحه، والنساء كنّ في ركن يؤدين صلاتهن، إنّ اليهود لم يستيقظوا عندما ظهر المسيح وظلوا نائمين طوال ألفي عام ، ظلوا مربوطين طوال الوقت بالجسد التاريخي الميت[٤١]، ويصفهم أيضا بانهم " قوة لا تضعف هي قوة مستمرة عبر التاريخ ويصعب خداعهم"[٤٢]، وعن حال القدس في رحلته الثانية "البريطانيون الان يحكمون القدس، والصهاينة يأملون في احياء اليهود، والمسلمون يتصدون لهذا...كيف يمكن ان نحل هذه المشكلة ، ليس من الطيب ما يجري هنا"[٤٣]، واعطانا وصفا لحاكم القدس الإنكليزي بأنه رجل واقعي ولديه أمل في أنْ تمضي الأمور على ما يرام، مع انه لم يصرح له بالأمور الرسمية كونه موظفاً حكومياً، وهو يتناول الأمور من وجهة نظر شخصيه فقط[٤٤].

وأثناء وجوده في القدس وجه توكوتومى رسائل إلى الممثل الياباني في مؤتمر الصلح وزير الخارجية البريطاني وإلى الرئيس الأمريكي داعيا إياهم ان لا يكون مؤتمر الصلح نهاية لنتائج حرب وإنّما بداية للتعايش السلمي بين البشر وطوي صفحة الحروب وعبر عن ذلك بأفكار ترقى الى الطوباوية منها ، الغاء القوات المسلحة ، وإلغاء الحدود والتأشيرات بين الدول، وتوحيد العملة بين جميع دول العالم، كانت امنياته ورسائله من منطلق انسان ياباني مسيحي محب للسلام ونبذ العنف[٤٥]. ويبدو أنّها كانت أمنيات لا تستند إلى قراءة علميه للواقع الدولي .فهي لا تعدو أنْ تكون امنيات شاعر أو أديب يحلم بمدينة فاضلة.

توكوتومى والإسلام

لم تكن لدى توكوتومي فكرة عن الإسلام وعن حياة النبي محمد (ص)، فهو لا يجيد العربية جيدا ولم يطلع على القرآن الكريم ، لكنه استقى معلوماته عنهما من خلال كتاب يحمل عنوان (سيرة النبي محمد) اشتراه من القدس بعد أن قرأ عنه في الكتاب الإرشادي الذي يشرح معالم القدس للحجاج المسيح وللسواح، ويبدو أنّ الكتاب قد أستمد معلوماته من مصادر استشراقية متحاملة على المسلمين بعيدة عن الموضوعية لغرض إعطاء صوره مضلله وخاطئة للمسيحيين عن الإسلام، ليكوّنوا صورة عدائية ضد المسلمين، حتى لا تؤثر عليهم الدعوة الى الإسلام، وذلك ما حصل مع توكوتومى الذي لم يقرأ شيئا منصفا عن الإسلام ونبيه ولم يتصفح القرآن " لم أقرأ القرآن، أريد أنْ اعرف الكثير عن الإسلام ، وإن وجدت وقتا أُريد أنْ أذهب إلى مكة أيضا... لكن ليس هناك ضرورة لأذهب، فالدين الذي جاء به محمد دين عدواني، وهو دين

الغضب "[٤٦] ، وهو يبني فكرته عن الإسلام بشكل خاطئ جدا وهو يرى أنّ الإسلام هو دين إسماعيل الذي طرد من أسرته من أجل سارة " فأساس هذا الدين ينقصه الشعور بالاحترام تجاه المرأة"[٤٧]، اقتصر نظره على هذا الجانب من حياة المرأة في الإسلام وعدها مثلبة على هذا الدين الذي كرم المرأة بأن جاءت سورة كامله فيه تحمل اسم سورة النساء، وهنالك آيات عديدة توضح مكانة الأم والمرأة في المجتمع فضلا عن الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة التي بينت دور المرأة. فهو يسأل مصريا مسلما التقاه في القدس عن شيئين: هل يدعو النبي محمد إلى استخدام القوة؟ وهل يوافق النبي محمد على تعدد الزوجات؟ وهو يرى أنّ النبي محمد عليه الصلاة والسلام "ولد من اجل العصر الذي عاش فيه من أجل زمانه ، ومن أجل ضروريات عصره، لكن حين استخدم السيف وحين تعامل بشكل غير طبيعي مع النساء فهذا لم يكن بالأمر الجيد"[٤٨] وهو يرى ان وجود النبي عليه الصلاة والسلام كان ضروريا لتوحيد القبائل العربية ، لكن اذا أعتُبِر الإسلام دينا إلى الأبد لكل زمان عن طريق ما جاء به النبي محمد، فإنّ البلدان الإسلامية سوف تضمحل وتنتهي وتتلاشى[٤٩]، ويبدو انه لم يقرأ عن المذابح التي قام بها الصليبيين وجرائم محاكم التفتيش تجاه المسلمين في اسبانيا.

وعند زيارته لمسجد قبة الصخرة الذي يطلق عليه خطأً (مسجد عمر) أورد نقلا لرواية غير واقعية تقول ان النبي محمد عليه الصلاة والسلام دق تسعة عشر مسماراً بمعنى انتهاء تسعة عشر عصرا من عصور البشرية، بمعنى ان العصر التالي سيعني انتهاء العالم ... وأنّ هذه المسامير بلونها الأزرق موجودة في المسجد[٥٠]. بل يورد خرافة أخرى يقول فيها" وشاهدت عمودين داخل المسجد يقال إنه لو مر أحد من بينهما دخل الجنة! ولما كانت المسافة بينهما ضيقة جداً فإن من لم يتمكن من المرور من بينهما سيدخل النار"[٥١]، وهو يقول أنّ المسجد الأقصى بناه جستنيان الأول[٥٢] ثم صار مسجدا للمسلمين ، وكلامه هنا يتعارض تماما مع العهدة العمرية التي قطعها الخليفة عمر بن الخطاب لمسيحي القدس إبان فتح المدينة عام ١٥هجرية[٥٣] لقد أورد هذه الروايات كمسلمة موثوق بها ونقلها عن أفواه الآخرين بدون نقد أو تمحيص، الأمر الذي يدل وبوضوح على أنّ معلوماته عن الإسلام كانت قليلة فضلا عن كونها كانت مضللة الى حد كبير.

ويتضح أنّ حكمه على إنّ الإسلام يهين المرأة من خلال تعدد الزوجات، وأن المسلمين يفتقرون إلى الحب تجاه المرأة يظهر مدى تأثره بالتعميمات الاستشراقية على الاسلام ، فضلا عن أنه كان أحادي النظرة منحازا ضد الإسلام، وهذا ما أكده البروفيسور أوسوكي أكيرا[٥٤] الذي علل سبب ذلك إلى "تأثر المثقفين اليابانيين في زمانه بالكتابات الغربية والاعتماد الكامل عليها مصدرا للمعلومات عن الإسلام واليهودية[٥٥]، لقد استمر تأثير الكتابات الاستشراقية على

العقلية الاكاديمية اليابانية حتى نهاية عقد الستينات وبداية عقد السبعينات من القرن الماضي، اذا حصل الانعتاق من تأثير المدرسة الغربية وبدأ الباحثون اليابانيون يتوجهون إلى الشرق الأوسط وإلى المنطقة العربية ليستقوا من المصادر الأصيلة ما يحتاجونه بعد تمكنهم من العربية، وكان ذلك بجهود بدأها البروفيسور يوزو ايتاغاكي وسار عليها من أعقبه الباحثين اليابانين[٥٦].

جعل توكوتومى من احترام المرأة بين الأديان المختلفة الأساس في مدى مقبولية هذه الأديان، "الدين الذي لا يهتم بالمرأة لا يمكن أنْ يكون دين العالم الجديد، حتى أولئك الذين يدعون أنّهم ينتمون الى دين المسيح إذا لم يحبوا المرأة وإذا استمروا في قتل البشر فهم ليسوا مسيحيين، ربما يكون لمرافقة زوجته له في رحلته الثانية أثر كبير على طبيعة كتابته أذا اعطى دورا مهما للمرأة في استقرار العالم اذ يعتقد بان مجتمعا مليئاً بالسلام ونبذ الحروب والعنف يمكن خلقه من خلال اتحاد نساء العالم " إذا اتحدت نساء العالم وعملن على تحقيق السلام فسوف تنتهي الحروب بشكل تلقائي"[٥٧]، لكنه لم يتعمق في دراسة الإسلام الذي كرّم المرأة وأعزها، اذ سميت احدى سور القرآن الكريم باسم النساء، وثبت الاسلام حقوق للمرأة لم نجدها في الديانات الاخرى.

وهو يرى أنّ بلدان الشرق الأوسط لا يمكن احياؤها بسبب السيطرة العثمانية عليها ، وأن تحققَ نهضتها يتم بالتخلص من " الطربوش الأحمر"[٥٨] وهو يعتقد بأنّ ابتعاد العرب عن الأتراك كفيل بنهوض العرب وعليهم أنْ يديروا شؤونهم بأنفسهم. وبالتأكيد فأنه يحمل أفكار غربية عن الدولة العثمانية استقاها من مصادر استشراقيه تحمل العداء للأتراك الذين فتحوا القسطنطينية عام ١٤٥٣م وقادوا حروب فتوحات إسلامية في شرق اوروبا، وسيطروا على الأراضي التي كانت تحت السيطرة الرومانية، وهو يرى أنّ هنالك خصائص مشتركة تربط بين الشخصية العربية واليابانية فالعقلية العربية تشبه العقلية اليابانية في زمن الساموراي ، إنّها عقلية طيبة وخيرة و مفيدة جدا في الظروف العادية غير الطارئة . لكن ظروف حياتنا اليومية العادية تفتقر إلى القيم الأخلاقية الدائمة[٥٩].

الخاتمة

كانت رحلتا الأديب الياباني كينجيرو توكوتومى لفلسطين لأسبابٍ دينيةٍ بحته امتزجت فيها النوايا الطيبة لحمل مشعل السلام ونبذ الحروب والتعايش السلمي بين البشر، وأهداف إنسانية أفصح عنها بشكل واضح.

أضفى وجود زوجته في رحلته الثانية الكثير من الهدوء والرقة في الوصف الذي تناوله توكوتومى لرحلته، إذ كان وجودها ذا أثر واضح في معظم احداث الرحلة.

وبالنسبة لموقفه من القدس فهو لم يتغير من ناحية الوصف إلا قليلا، فهو يتحدث عنها بكونها مدينة يسوع ونجد أنّه تجاهل الوجود العربي في القدس ، أذ لم يتحدث عن المكون العربي بما يتناسب وعمقه التاريخي وحجمه السكاني في المدينة، وتبين انه كان على اطلاع على المخطط الصهيوني في فلسطين، وموقف المسلمين منه ،ونبه منذ فترة مبكره للمشاكل التي ستحدثها ملكية القدس. واتضح لنا انه يحمل فكرة أحادية عن الإسلام ومعتقداته وعن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ونظرته تلك كانت متأثرة بالرؤيا الاستشراقية التي عملت أغلبها على تمويل باحثين غربيين من أجل الوصول لغايات معينة تخدم أهدافهم في المنطقة.

لم يكن توكوتومى مسيحيا خالصا بالمفهوم الكاثوليكي او الارذثوكسي ، إنّما كانت أفكاره الدينية مزيجا من المسيحية و الشنتوية اليابانية. ولقد عكس مزاجية كبيره من خلال تقلب اراءه بحسب طبيعة مزاجه.

وجه رسائل عدة الى رؤساء الحكومات الكبرى المشاركين في مؤتمر باريس للسلام ، حملت أفكار لإشاعة السلم والمحبة بين شعوب العالم لكن الدول الكبرى كانت مشغولة بإعادة اقتسام المستعمرات فيما بينها ،ولتنتقم من الدول التي خسرت الحرب .

ويعاب على مصادر توكوتومى، أنه نقل بالرواية (يقولون) ونقله كان عن بعض الادلاء بينهم أطفال فضلا عن اشخاص هم ليسوا فلسطينيين وتلك مصادر ضعيفه وغير موثوقه، وكذلك أعتمد على مصادر كتب الارساليات التبشيرية التي تعكس وجهة نظر واحدة تقريبا وتنطلق من منطلق ديني استشراقي بحت. ومما يؤآخذ عليه أيضا عدم اهتمامه بطبيعة العلاقات بين مكونات مجتمع القدس، وعاداتهم وتقاليدهم ومدارسهم ولم يتطرق بوضوح للوضع الاقتصادي للمدينة، وكان اهتمامه منصبا على الاثار المعمارية المسيحية. ومع ذلك تبقى رحلته مهمة كونها قدمت لنا رؤية يابانية لطبيعة الأوضاع في القدس وفلسطين عامه وتوقعات لما سيحدث مستقبلا ،في حقبة تاريخية غاية في الدقة أسهمت في تشكيل الوضع الحالي لفلسطين والقدس، فضلا عن ذلك فأنها نقلت لليابانين صورة عن طبيعة المجتمع العربي

وماهية مشاكله، لاسيما القضية الفلسطينية ومؤامرات الدول الكبرى، وتبقى هذه الرحلة انموذجا للرحلات اليابانية الى الأماكن المقدسة لدى المسيحيين.

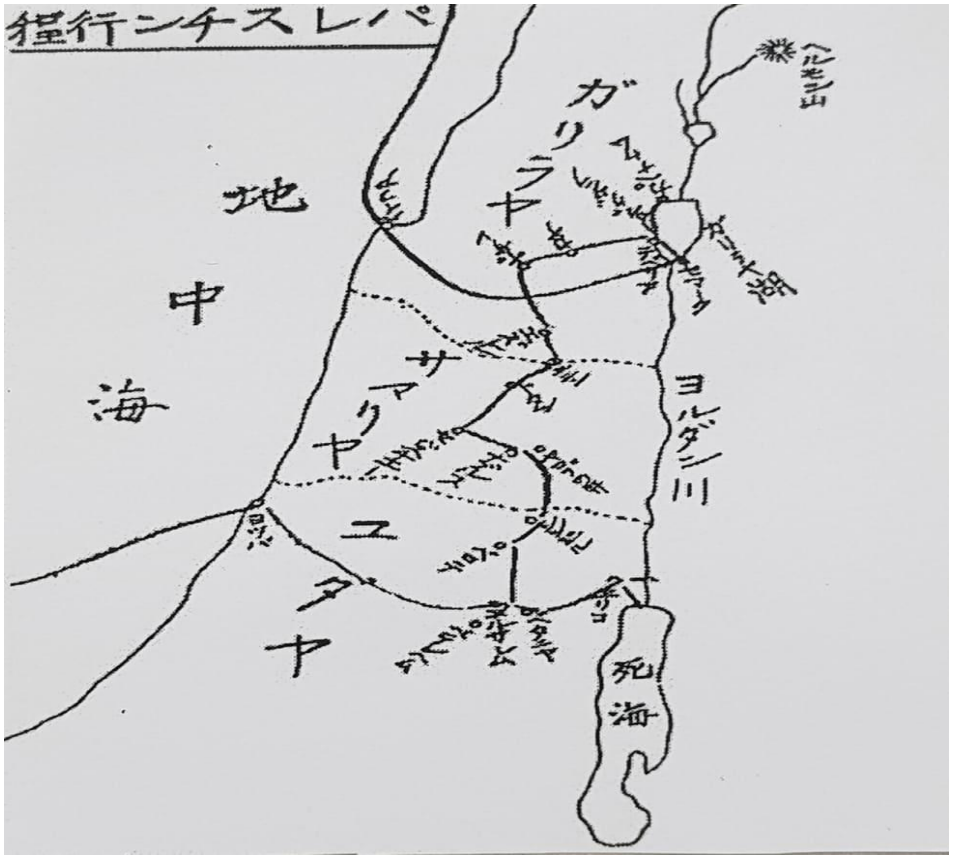

خارطه رسمها الاديب توكوتومى كينجيرو توضح تنقله في فلسطين.

المصدر:كينجيرو، الرحلة اليابانية ،ج١، ص ٧٨.

الهوامش

١ - الساموراي: لقب يطلق على رجال الحرب والنبلاء ، ظهر في اليابان خلال حقبة إيدو، لتمييز الساهرين على حفظ الأمن، إلا انه انسحب على جميع المحاربين في اليابان، تم إلغاؤه عام ١٨٧٠م.أتبع الساموراي مجموعة من القوانين التي تدعى البوشيدو(طريق المحارب) انظر: Herschel Webb ,An Introduction To Japan, New York , Columbla University Press , 1960, PP.24-25

٢ -كينجيرو، توكوتومى، الرحلة اليابانية الى فلسطين ومصر(١٩٠٦م)، ترجمة سمير عبد الحميد نوح وساره تاكاهاشي(القاهره: المركز القومي للترجمه:٢٠١٤م) ج١، ص٨ المقدمة.

٣- وهي الزهرة التي تنبت بين الصخور لكن ليس لها وجود في الواقع،المرجع نفسه، ج١، المقدمة ص ٩.

٤ - كينجيرو ، الرحلة اليابانية الى فلسطين ومصر ،ج١، ص١٥.

٥ - المرجع نفسه ج٢، ص ص ٨١-٨٥

٦ - المرجع نفسه ،ج٢،ص ٨٩.

٧ - يحظى جبل فوجي بأحترام وتقديس كبير عند اليابانيين، وساد الاعتقاد قديما بأن أرواح الأموات عندما تغادر أجسادهم تصعد إلى الجبال حيث تصبح كامي (أله) عندما تصل إلى القمة فيتحقق لها الكمال الروحي، انظر: ، تيتسرو، يامائوري ، قدسية جبل فوجي ،مجلة نيبونيكا، وزارة الخارجية اليابانية، السنة ٢٠١٤، العدد١٣،ص٩

٨ - الشنتو: وهي الدين المتعارف عليه في اليابان منذ القدم ،ثم اصبح يمثل طائفة دينية لها مزارات دينيه محلية للأسر، ينظر: ابراهيم ، سمير عبد الحميد ،الإسلام والأديان في اليابان،(الرياض، مكتبة الملك عبد العزيز العامة:١٤٢١هـ)، ص٣٧

٩ - تولستوي: ليف نيقولا، من كبار الأدباء الروس في القرن التاسع عشر، يُعد كتابه (الحرب والسلام) ١٨٦٩م من أشهر أعماله، توفي سنه ١٩١٠م. ينظر: تولستوي ، حكم النبي محمد ، تر: محمود النجيري،ط١(الجيزة ،دار طيبه للطباعة:٢٠٠٨م) ، مقدمة المترجم ص ص٣-٨

١٠- كينجيرو ، الرحلة اليابانية الى فلسطين وسوريا ١٩٠٦، ج٢،(مقدمة المترجمان)صص٨-٩.

١١ - المرجع نفسه ، ج٢ ، ص١٤٦.

١٢-المرجع نفسه والصفحة نفسها

١٣ - المرجع نفسه والصفحة نفسها.

١٤ - المرجع نفسه ،ج٢ ،ص١٤٧.

١٥ - المرجع نفسه والصفحة نفسها

١٦ - المرجع نفسه، ج٢ ، ص١٤٩.

١٧ - المرجع نفسه، ج٢ ، ص١٤٣

١٨ - الصليب : يجسد الصليب عذابات والآم السيد المسيح بحسب العقيدة المسيحية ، دخل إلى التقاليد المسيحية من القرن الثاني الميلادي على يد ترتوليان وهو محامي ورجل دين من شمال إفريقيا كان في قمة نشاطه بحدود ٢٠٠م ، وكان الامبراطور قسطنطين الأول(٣٠٦-٣٣٧م) قد أعطى زخما لاستخدام شعار الصليب كرمز وشعار و أمر بتزيين رايات جيشه به. للمزيد انظر: ستوت ، جون ، صليب المسيح ،(الإسكندرية ، مطبعة الجامعيين ، ١٩٨٥م) ص٢٢ وما بعدها

١٩ - المرجع نفسه، ج٢ ،ص٢١

٢٠- المرجع نفسه، ج٢ ،ص٧٥.

٢١- المرجع نفسه ، ج١، ص ١٧(مقدمة المؤلف)

٢٢ - المرجع نفسه، ص٢٣

٢٣ - المرجع نفسه ، ج٢، ص٢٣.

٢٤ - المرجع نفسه ، ج٢، ص٢٣٣.

٢٥ - المرجع نفسه ، ج٢، ص٣٢٢.

٢٦ - توكوتومى، الرحلة ،ج١، ص٥٦.ويقصد بالأوربيين المسيحيين على اختلاف طوائفهم.

٢٧- للمزيد: أبو شماله، مروان عبد الرحمن حسين، الاستراتيجية الصهيونية في القدس ١٨٦٧-١٩٤٨، رسالة ماجستير غير منشوره،كلية الآداب، الجامعة الإسلامية-غزه،٢٠١٢،ص ١٣٧.

٢٨ - ربايعه ، إبراهيم، طائفة اليهود في مدينة القدس من بدايات الحكم العثماني إلى قُبيل قيام الحركة الصهيونية (٩٢٢هـ-١٥١٦م) (١٣١٥هـ-١٨٩٧م)المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، م٢، عدد٢،٢٠٠٨م، ص ٨٦؛ يشير حسين اوزدمير الى ان عدد اليهود بحدود ١٩٠٨،بلغ (٧٠٠٠٠) يهودي وصل عددهم قبيل الحرب العالمية الأولى الى (٨٥٠٠٠)، انظر: اوزدمير، حسين، فلسطين في العهد العثماني ،(القاهرة،دار النيل،٢٠١٣)،ص١٩٨.

٢٩ - كينجيرو، الرحلة اليابانية ج١ ،ص ٥٦.

٣٠ - المرجع نفسه ،ج١، ص٦٠.

٣١ - المرجع نفسه ،ج١،ص١٠٤

٣٢ - المرجع نفسه ،ج٢،ص٧٧.

٣٣ - المرجع نفسه،ج١،ص٦١.

٣٤ - برو، توفيق، القضية العربية في الحرب العالمية الاولى١٩١٤-١٩١٨،(دمشق، دارالطلاس للدراسات والترجمة والنشر،١٩٨٩)،ص٣١٣.

٣٥ - الوعري ، نائلة: دور القنصليات الأجنبية في الهجرة والاستيطان اليهودي في فلسطين (١٨٤٠-١٩١٤م)،(عمان، الشروق للطباعة والنشر: ٢٠٠٧)، ص٢٥٠.

٣٦ - المرجع نفسه ج١، ص٦١.

٣٧ - المرجع نفسه ، ج٢،ص١٠١.

٣٨ - المرجع نفسه والصفحة نفسها.

٣٩ - المرجع نفسه، ج١،ص٤٠.

٤٠ - سورة النساء الآية ١٥٥-١٥٦.

٤١- كينجيرو ، الرحلة اليابانية . ج٢، ص ١٠٥؛ ليس لليهود من مقدسات في فلسطين عدا حائط البراق(المبكى) وبعض القبور.انظر:غازي خالد محمد، القدس سيرة مدينه،(المنيا،دار الهدى للنشر والتوزيع،١٩٨٩)،ص٩١.

٤٢ - المرجع نفسه والصفحة نفسها ، ج٢ ، ص١٠٦

٤٣ - المرجع نفسه والصفحة نفسها؛ عمل الانكليز بعد عام ١٩١٨م على ادخال اللغة العبرية الى جانب اللغة العربية والانكليزية في فلسطين بالرغم من انه لايتكلمها آنذاك أكثر من ١٠%تقريبا يهود فلسطين وعلى اثرها ملئت دواوين الحكومة باليهود.انظر:دروزة ، محمد عزة، مأساة فلسطين(دمشق، دار اليقظة العربية للترجمة والتوزيع والنشر،١٩٥٩)، ص١٥.

٤٤ - المرجع نفسه ج١، ص ٨٧.

٤٥ - المرجع نفسه ،ج٢، صص١٥٥-١٥٨.

٤٦ - كينجيرو ، الرحلة اليابانية الى ،ج٢، ص ١٣٠.

٤٧ - المرجع والصفحة نفسها.

٤٨ - المرجع نفسه ، ج٢، صص٢١٦-٢١٧.

٤٩ - المرجع نفسه ، ج٢، ص٢١٨.

٥٠ - المرجع نفسه ، ج١، ص٧٢.

٥١ - المرجع نفسه والصفحة نفسها.

٥٢ - الامبراطور جستنيان: تولى الحكم في ٥٢٧-٥٦٥ م ، اشتهر بحملاته العسكرية ،اهتم ببناء الكنائس والاديرة، انظر: بينز ، نورمان ، الامبراطورية البيزنطية، تر:حسين مؤنس،محمود يوسف زايد،(القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٠) ص ٤٨ ومابعدها.

٥٣ - محمد، غازي رجب ، المسجد الاقصى بالحرم الشريف ببيت المقدس، بحث القي في مؤتمر التاريخ الدولي ببغداد ٢٥-٣٠آذار ١٩٧٣.

٥٤ - مقابله شخصيه للباحث مع البروفيسور اوسوكي اكيرا في طوكيو بتاريخ ٢٠١٢/١١/٢٩م .

٥٥ -كينجيرو، الرحلة اليابان، ج١، ص١١(المقدمة).

٥٦ - للمزيد انظر: المسعودي، ياسين خضير حسن ، تطور الدراسات العربية والإسلامية في اليابان تسوكيتاكا ساتو أنموذجا. أطروحة دكتوراه غير منشورة. جامعة بغداد. كلية الآداب. السنة ٢٠١٤، ص١٤٥ وما بعدها.

٥٧-كينجيرو، الرحلة اليابانية ، ج٢ ،ص٢١٨.

٥٨ - المرجع نفسه ، ج٢ ،صص١٣٠-١٣١.

٥٩-المرجع نفسه ، ج٢ ، ص٢١٩.

ALQuds in the Japanese eyes, Kenjiro Tokutomi`s description of the city.

Dr. Yassin Khudair Hassan

ABSTRACT

In travel literature, the historical narrative is associated with social studies and geographical and literary description. Since the Middle Ages, the East has been a source of interest for many researchers due to the treasure of ancient civilizations and the source of launch of unified religious massages as well as the importance of economic and the important of geographical position among the world continents, therefore it was the destination for many travelers of orientalists and Arabist for many reasons, such as trying to understand the East and reveal its secrets for purposes of economic and political dimensions or to visit the holy places and perform their religious ritual there